اختلاف ثقافة مجموعات الصّمّ وتأثيره في عملية الترجمة

The Diversity of Deaf Groups Cultures and Its Impact on the Translation

أ. **غسان محمد بن حامد:** طالب دكتوراه بالمعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، ومترجم لغة إشارات بقسم التربية في جامة نزوى، سلطنة عمان.

Ghassen Mohamed ben Hamed: A PhD student at the Higher Institute of Islamic Studies, University of Zitouna, Tunisia, and a sign language translator in the Department of Education at Nizwa University.

Email: Ghassenhamed96@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v5i2.1339

تاريخ الاستلام:	2024-11-25	تاريخ القبول:	2025-01-01	تاريخ النشر	2025-02-01

الملخّص:

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على عمليّة التّرجمة في لغة الإشارات والخوض في خصائصها ومميزاتها، عبر التطرق إلى اختلاف اللغات الإشارية ودحض الاعتقاد الشائع كون لغة الإشارات هي لغة موحدة في جميع أنحاء العالم، وذلك عبر تحليل ومقارنة مجموعة من الإشارات في ثلاث لغات إشاريّة مختلفة، لغة الإشارات التونسية والعُمانية والفرنسية، من ثمّ تبيان مدى تأثير هذا الاختلاف على عملية الترجمة، كما تطرّقت الدراسة إلى خصائص هذه اللغة باعتبارها لغة بصرية بالأساس وتحليل تركيبة الجملة الإشارية ومدى تأثيرها على عملية الترجمة. أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها ضرورة اطلاع المترجم على ثقافة مجموعات الصم ومعرفة انتماءاتهم ومعتقداتهم، والاطلاع على خصائص لغة الإشارات ومميزاتها وذلك لتأدية رسالة الترجمة على أكمل وجه.

الكلمات المفتاحية: لغة الإشارات، الترجمة، ثقافة الصّم، التّرجمة الإشارية.

Abstract:

The study aimed to highlight the translation process in sign language, and delving into its characteristics and features by discussing the differences in sign languages and refuting the common belief that sign language was a unified language worldwide, by analyzing and comparing a range of signs in three different sign languages; Tunisian Sign language, Omani Sign language and French Sign Language; then indicate how this difference and diversity affect the translation process. We then touched upon the characteristics of this language as a basically visual language and analyzed the structure of the sign sentence and its impact on translation. The study recommended that the interpreter should be informed about the culture of deaf groups and the characteristics and features of sign language to perform the translation message to the fullest.

Keywords: Sign language, translation, deaf culture, Sign language translation.

المقدّمة:

إنّ الإنسان مدني بطبعه، لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخر، فهو في حاجة ماسّة للتواصل مع المحيطين به، والتفاعل معهم؛ ذلك أنّ عملية التواصل ضرورة حياتية، وآلية اجتماعية تكفلُ لجميع أفراد المجتمع الاندماج في المجموعة والانفتاح على الآخر، فالتواصل يُعتبر نعمة من نعم الله عزّ وجلّ على عباده.

وتتميّز عمليّة التّواصل بتعدّد وسائلها وتنوعها. ولعلّ من أهم هذه الوسائل نجد الترجمة والتي تعتبر شكلاً من أشكال التواصل بين الشعوب والثقافات واللغات المختلفة، حيث تلعبُ دوراً مهماً في مدّ جسور التواصل بين مختلف مكونات المجتمع باختلاف ثقافاتهم وانتماءاتهم ومعتقداتهم. إنّها بمثابة حلقة الوصل بين مختلف هذه المكونات بما في ذلك مجموعات الصمّ في العالم والذين يتواصلون فيما بينهم بواسطة لغة الإشارات باعتبارها لغتهم الأمّ في جميع أنحاء العالم، فبها يتواصلون ويتفاعلون؛ لأنها لغة قائمة بذاتها، شأنها شأن اللغات المنطوقة كالعربية والانجليزية.

وهي اللغة الطبيعية والتي من خلالها يستطيع الأصمُّ أن يعبّر عن نفسه وعمَّا يجول في خلَدِه بارتياح، وتُعدُّ لغة الإشارات من أكثر اللغات رواجاً بين ذوي الإعاقة السمعية. وتعتبر من وجهة نظر المؤيدين والمتحمّسين لها اللغة الأم للأفراد الصم، خاصة مع التطور الكبير في استخدام الإشارات واستحداث الجديد منها من قبل المختصّين (الجوالدة، وآخرون، 2021).

قد يظن البعض للوهلة الأولى عند الحديث عن لغة الإشارات، أنَّ جميع الصم حول العالم يتواصلون بلغة إشارات واحدة، وأنه ليس هناك تنوع واختلاف في اللغات الإشارية. فمن أكثر الأسئلة شيوعاً عند الحديث عن هذه اللغة هو "هل هناك لغة إشارات موحدة في جميع أنحاء العالم يستعملها جميع الصم بنفس الكيفية أم أنّ هناك لغات إشارية مختلفة؟".

في حقيقة الأمر هناك لغات إشارية مختلفة، واشتراك دولتين مثلا في استعمال لغة منطوقة واحدة لا يعني أنّ صم تلك الدولتين يتحدثون نفس لغة الإشارات. فالصم العرب على سبيل المثال يتحدثون لغات إشارية مختلفة متشابهة إلى حد كبير نوعاً ما في بعض الدول كدول الخليج العربي والشرق الأوسط وبعض دول شمال إفريقيا، ومختلفة تماما عن دول المغرب العربي خاصة تونس والجزائر والمغرب المتأثرة بدرجة كبيرة بلغة الإشارات الفرنسية والإيطالية.

وتتعدد لغات الإشارة داخل اللغة الواحدة، فلغة الإشارة في العالم العربي مثلاً تختلف من دولة إلى أخرى بالرغم من محاولات توحيدها. كما أنّ لغة الإشارة الأمريكية تختلف اختلافاً بيّناً عن لغة الإشارة البريطانية، وكلاهما تختلف عن لغة الإشارة الأسترالية والألمانية، وربما تختلف لغات الإشارة اختلافات معينة داخل الدولة الواحدة الناطقة بلغة واحدة (العصيلي، 2002).

كما أجرى العديد من الباحثين دراسات تناولت موضوع لغة الإشارات والمترجم ومعلم الصم على غرار دراسة أبو شعيرة (2016) والتي هدفت للتعرف على الأخطاء في عملية الترجمة الإشارية ومصادرها من وجهة نظر مترجمي لغة الإشارات العرب؛ وذلك تبعا لعدد من المتغيرات كالجنس وطبيعة العمل والمهارة بلغة الإشارات، وأظهرت النتائج أنّ وجود مصادر الأخطاء تتفق في طبيعتها إلى ضعف المجتمع بموضوع لغة الإشارات وثقافة مجتمع الصم، بالإضافة إلى نقص عدد العاملين في مجال الترجمة الإشارية والاستنجاد بغير المتخصصين، وقد أوصى الباحث بضرورة تكثيف تدريب المعلمين العاملين في تعليم الصم والمترجمين وتفعيل رخصة المزاولة لمهنة الترجمة الإشارية وضرورة وضع معايير محددة للحصول عليها (أبو شعيرة، 2016).

كما أجرى التركي (2017) دراسة هدفت للتعرف على الصعوبات النفسية والصحية والجسدية التي تواجه مترجمي لغة الإشارات في المملكة العربية السعودية من وجهة نظرهم، وقد توصّل الباحث إلى حصر مجموعة الصعوبات النفسية والجسدية والصحية والمهنية والصعوبات في التدريب والتأهيل لمترجمي لغة الإشارات، وقد أوصى بضرورة وجود جمعيات للمترجمين والعمل على إعداد برامج أكاديمية خاصّة بهم (التركي، 2017).

في حين أجرت سماح محمد (2020) دراسة هدفت لفحص العلاقة بين جودة مترجم لغة الإشارات من منظور طلاب الجامعة الصم وضعاف السمع وعلاقتها بالأداء الأكاديمي لديهم. وأسفرت أهم النتائج عن وجود علاقة بين جودة مترجم لغة الإشارات من منظور طلاب الجامعة الصم وضعاف السمع والأداء الأكاديمي لديهم وعدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطي درجات الطلاب في الأداء الأكاديمي وفقا لمتغير الجنس، ولكن هناك فروق وفقاً لمتغير حالة السمع لصالح ضعيف السمع واختلاف جودة أداء مترجم لغة الإشارات من منظور طلاب الجامعة الصم وضعاف السمع وفقاً لمتغير حالة السمع لصالح ضعيف السمع (محمد، 2020).

كما أجرى عيسى (2019) دراسة هدفت؛ لتقييم مهارات لغة الإشارات لدى معلمي الصم بمعاهد الأمل بالمملكة العربية السعودية بمدينة جدة. وأظهرت نتائج الدراسة ارتباطا دالّا إحصائيّاً بين الأداء على الأبعاد وفقرات المهارات والدرجة الكلية لجميع الأبعاد ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مهارات لغة الإشارة لدى المعلمين تعود إلى تباين عدد سنوات الخبرة (عيسى، 2019).

جميع الدراسات التي قمنا بعرضها اهتمت بمترجم لغة الإشارات والصعوبات التي تواجهه، كالصعوبات النفسية والجسدية والصحية والمهنية، بالإضافة إلى ضعف المجتمع بموضوع لغة الإشارات وثقافة مجتمع الصم ونقص عدد العاملين في مجال الترجمة الإشارية والاستنجاد بغير المتخصصين. كما ركزت على تقييم مهارات المترجم وجودة أدائه، ولكنها لم تركز هي وغيرها من الدراسات الأخرى التي اهتمت بالإعاقة السمعية ولغة الإشارات على اختلاف اللغات الإشارية وتأثيرها

في عملية الترجمة، والصعوبات التي يواجهها المترجم في ظل هذا الاختلاف، بالإضافة إلى دراسة بعض خصائص هذه اللغة وتأثيرها في عملية الترجمة الإشارية.

إشكالية الدراسة:

إنّ أغلب الدراسات تُجمِع أنَّ هناك لغات إشارية مختلفة ولعلَّ أهمها دراسة كندة الفتياني، والتي قارنت فيها بين خمس لغات إشارية وهي لغة الإشارات الفلسطينية واللبنانية والكويتية والأردنية ولغة السيد في مصر، والتي توصلت خلالها إلى كون جميع هذه اللغات مختلفة ولا توجد علاقة بينها (Al-Fityani, 2007).

كما أشار سامي جميل أنَّ لغة الإشارات هي لغة مستقلة وليست لغة موحدة ودولية، فهي مختلفة من دولة إلى أخرى من حيث قواعدها وإشارات مفرداتها (جميل، 2002).

وقد أشار أنطوان رومانوس في دراسته "المنهجيات المستعملة في تعليم الصم لغات الإشارة"، وكون خلافاً لما يعتقد العديد من المتسرعين غير المتبصرين، فقد دلت جميع الدراسات التي أجريت على لغات الإشارة في العالم على اختلافها عن بعضها. فاللغة الأميركية للإشارة تختلف عن اللغة البريطانية للإشارة (مع أنّ الشعبين الأميركي والبريطاني يتكلمان اللغة الإنكليزية)، واللغتان الأميركية والبريطانية للإشارة تختلفان عن اللغة الفرنسية للإشارة التي تختلف عن اللغة التايوانية للإشارة (رومانوس، 1992).

وهذا الاختلاف سيؤثر وجوبا في عملية الترجمة.

وبناءً عليه يمكن بلورة إشكاليّة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- على أي أساس ينبني اختلاف وتنوع اللغات الإشارية بين مجموعات الصم؟

2- ما مدى تأثير هذا الاختلاف والتنوع على عملية الترجمة؟

3- هل يؤثر اختلاف خصائص اللغات الإشارية في عملية الترجمة؟

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال:

- تسليط الضوء على لغة الإشارات باعتبارها لغة قائمة بذاتها شأنها شأن بقية اللغات.
- دعم البحوث في مجال الإعاقة السمعية وذلك نظراً لندرة الدراسات التي سلطت الضوء على فئة الصم والترجمة الإشارية.

- التطرق والغوص في عملية الترجمة في لغة الإشارات والخوض في خصائصها والتعرف على ثقافة مجموعات الصم.
- إفادة العاملين في حقل ذوي الإعاقة السمعية في تأدية الترجمة بصورة واضحة وفعّالة تضمن وصول الرسالة الصحيحة.
- إفادة المعاهد والمدارس والجامعات الدامجة لذوي الإعاقة السمعية.

مصطلحات الدراسة:

1- الترجمة:

الترجمة هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلاً (وهبة، 1974). كما يعرفها محمد شاهين على أنها العملية الفعلية لفك رموز النص الأصل في اللغة الأصلية وترميز النص في اللغة الهدف (شاهين، 1998).

ويمكن أن نعرِّف الترجمة على أنها العملية التي من خلالها يقوم المترجم بنقل رسالة من لغة ما وهي اللغة الأصل إلى اللغة الهدف دون التدخل في المعنى الأصلي إضافة أو حذفاً.

2- المترجم:

يتمثل دور المترجم في تسهيل عملية التواصل بين شخصين يمتلكان لغتين مختلفتين، وذلك بالاعتماد على معرفته باللغتين والثقافتين (أبو شعيرة وحداد، 2021).

ويمكن أن نُعرِّف المترجم بأنه الوسيط بين طرفين يمتلكان لغتين مختلفتين، ويتمثل دوره في ضمان نفاذ الطرفين إلى المعلومة عبر تأمين عملية الترجمة مع الحرص على الحفاظ على المعنى الأصلي دون أي تحريف، وأن يتحلّى بالأمانة العلمية والثقة بالنفس وأن يكون مطلِعاً على الثقافة الخاصّة بالمجتمعين.

3- مترجم لغة الإشارات:

هو الذي يقوم بترجمة الرسالة بين الأصم والفرد السامع وذلك باستخدام لغة الإشارة؛ لإيصال الرسالة إلى الفرد الأصم، واللغة المنطوقة لإيصال الرسالة إلى الفرد السامع (التركي، 2017).

ويمكن أن نُعرِّف مترجم لغة الإشارات بأنه الفرد الطبيعي الذي يُجيد لغة إشارات واحدة أو أكثر ويقوم بتأمين عملية الترجمة للصم في حالة الترجمة من لغة منطوقة إلى لغة الإشارات (عن طريق الإشارات)، أو للأشخاص العاديين في حالة الترجمة من لغة الإشارات للغة المنطوقة (عن طريق الكلام)، أو من لغة إشارات إلى أخرى، لذلك يجب أن يكون مترجم لغة الإشارات لا يعاني من مشكلة في البصر أو السمع أو الكلام وأن يكون ملمّاً بثقافة الطرفين.

4- ثقافة مجتمع الصم:

هي مجموعة العادات والتقاليد والمعتقدات التي تميز مجموعات الصم، والتي تختلف من مجموعة صم إلى أخرى نتيجة لبعض العوامل، لعلّ أهمها مكان تواجد هذه الفئة ومدى علاقتها بالمجتمع الذي تنتمي إليه، والتي يمكن أن تختلف حتى داخل نفس المجتمع باختلاف الأقاليم أو السن أو الجنس... وهذا التنوع والاختلاف هو من خصائص مجموعات الصم والتي تعكس تنوع الثقافات وثراءها وعراقتها وعلاقتها الوطيدة بالمجتمعات الناطقة التي تنتمي إليها هذه المجموعات.

منهج الدراسة:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك عبر تجميع مجموعة من الإشارات في لغات إشارية مختلفة على غرار لغة الإشارات التونسية والعُمانية والفرنسية وتحليلها ومقارنتها والبحث في مرجعياتها، كما اعتمدنا على الملاحظة كأداة من أدوات الدراسة وذلك؛ لتواجد الباحث الدائم مع فئات الصم سواء في تونس أو في سلطنة عُمان باعتباره مختصا ومترجم لغة إشارات ومُلما بلغات إشارية مختلفة كلغة الإشارات العربية والعُمانية والتونسية والفرنسية.

حدود الدراسة:

ما من شكّ في أنّ طريق كلّ بحث علميّ محفوف بالصعوبات المتنّوعة، غير أنّ تلك الصعوبات هي التّي تصنع البحث، و تحفّز الباحث على تجاوزها، وتحويلها إلى محفزات تكون دافعًا قويّا له على التقدّم في بحثه.

الحدود الموضوعية:

- اقتصرت الدراسة على تأثير اختلاف ثقافة مجموعات الصم وبعض خصائص لغة الإشارات في عملية الترجمة.
- اقتضت طبيعة الدراسة وخصوصيّتها استدعاء منهج المقارنة، والتحليل، والملاحظة، وهو ما يستوجب منّا مقارنة وتحليل إشارات يستعملها الصّم في دول مختلفة، ولكن بسبب عامل الوقت والالتزامات المهنية اقتصرت الدراسة على التركيز على ثلاث لغات إشارية فقط وهي لغة الإشارات التونسية والعُمانية والفرنسية.

الحدود المكانية:

- اقتصرت الدراسة على سلطنة عُمان وتونس وفرنسا عبر دراسة اللغات الإشاريّة الراجعة بالنظر لهذه الدول.

الحدود الزمانية:

- اعتمدت الدراسة على عدة مناهج من ضمنها منهج الملاحظة والمقابلة، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عام 2018 إلى 2024 بالنسبة للملاحظة، وخلال عام 2023 بالنسبة للمقابلة.

إجراءات الدراسة:

يعتمدُ الباحث في البحوث الميدانية على مجموعة من الأدوات لجمع البيانات، والوصول إلى أهم النتائج، والإجابة عن مشكلة الدراسة، واستخلاص أهم النتائج، وصياغة التوصيات. لذلك قام الباحث خلال هذه الدراسة باستدعاء منهج المقارنة، والتحليل، والملاحظة والمقابلة.

فقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على الملاحظة المشاركة، فالباحث هو مختص ومترجم لغة إشارات وهو ما ساعده على دخول عالم الصم والعيش معهم لأكثر من عشر سنوات، واكتشاف عالمهم سواء في سلطنة عُمان أو تونس أو فرنسا، والتعرف بالتالي على أهم مميّزات وخصائص هذا المجتمع.

كما اعتمد الباحث في دراسته على منهج المقابلة وذلك عبر إجراء مقابلة مع الأستاذ سعيد البوسعيدي، مترجم لغة إشارات ومشرف الدمج بمحافظة الداخلية بوزارة التربية والتعليم العُمانية؛ لمعرفة المرجعية الثقافية لمجموعة الإشارات العُمانية التي قام الباحث باختيارها.

كما اعتمد الباحث على منهج المقارنة والتحليل لمجموعة من الإشارات العُمانية والتونسية والفرنسية، حيث قام باختيار مجموعة من الإشارات ومقارنتها وتحليلها للتعرف على نقاط التشابه والاختلاف ومدى علاقة هذه الإشارات بثقافة مجموعات الصم، ومدى تأثير هذا التنوع والاختلاف على عملية الترجمة.

اختلاف اللغات الإشارية باختلاف مجموعات الصم:

يظن البعض للوهلة الأولى عند الحديث عن لغة الإشارات، أنها لغة واحدة يستعملها جميع الصم حول العالم، فهم يعتقدون أنّ هذه اللغة هي لغة وصفية بالأساس تعتمد على تجسيد شكل الشيء في الواقع، أو أنها تقوم على كتابة الكلمات باعتماد أبجدية موحدة في جميع أنحاء العالم. صحيح أنّ اللغات الإشارية تعتمد في جزء منها على التجسيد والوص، لذلك فهي تتشابه في بعض المصطلحات الإشارية وهي الصفة التي لا تتوفر في اللغات المنطوقة. ويرجع ذلك إلى اعتمادها اعتمادًا كبيرا على القناة البصرية وصفة الأيقونية في جانبها الوصفي، ولكن هذا لا يعني أنها اللغة نفسها. فالمعجم يختلف عادة من منطقة إلى أخرى ويسهم بدرجة كبيرة في إنتاجه كله من طبيعة عيش الأصم، الموروث الثقافي والعادات والتقاليد التي يتقاسمونها مع المجتمع الناطق والمواضعة

التي تختلف من مجموعة صم إلى أخرى. فبعض الإشارات هي إشارات غير وصفية أي أنها لا تصف شكل الشيء في الواقع.

ويكمن التشابه أساسا في اللغات الإشارية في وصف وتجسيد شكل الشيء في الواقع، سواء كان تجسيدا كلّيا أو تجسيدا جزئيا، وهو ما نطلق عليه مصطلح الأيقونية الجزئية والأيقونية التامة.

1) الأيقونية الجزئيّة:

تتمثل الأيقونيّة الجزئيّة في لغة الإشارات في تجسيد جزء صغير من الشيء المُراد التعبير عنه كأخذ السمة البارزة في شيء ما. نأخذ على سبيل المثال إشارة "فيل" في لغة الإشارات العمانية كما هو مبين في الصورة:

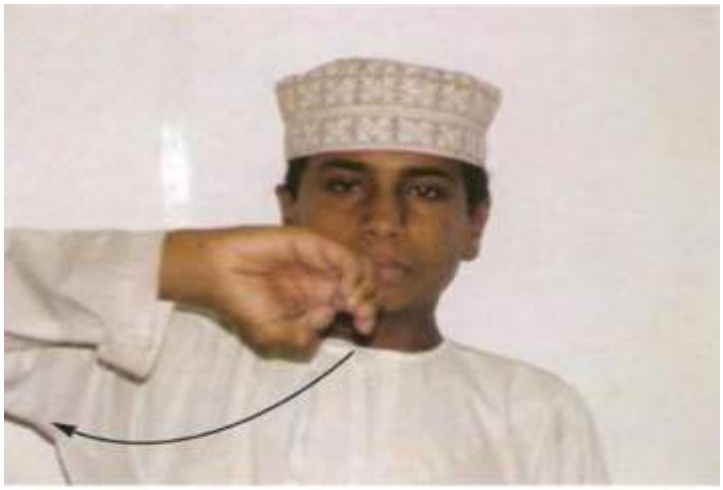

في إشارة "فيل"، وقع تجسيد السمة البارزة التي تميز الفيل، وذلك بتجسيد شكل خرطوم الفيل باعتباره من أهم السمات البارزة التي تميز الفيل، وهو ما يُعرف بمصطلح الأيقونيّة الجزئيّة في لغة الإشارات. وفي هذه الحالة فنحن نتحدث عن علاقة ثلاثية: الإشارة (دال)، المعنى (المدلول)، المرجع (وهو تجسيد السمة البارزة التي تميز الدال).

الإشارة: الفيل (الدال)، المعنى: فيل (المدلول)، المرجع: خرطوم الفيل (وصف سمة بارزة تميّز الفيل).

2) الأيقونيّة التامّة:

تتمثل الأيقونيّة التامّة في لغة الإشارات في تجسيد شكل الشيء المُراد التعبير عنه تجسيداً كليّاً. نأخذ على سبيل المثال إشارة "شجرة" كما هو مبين في الصورة:

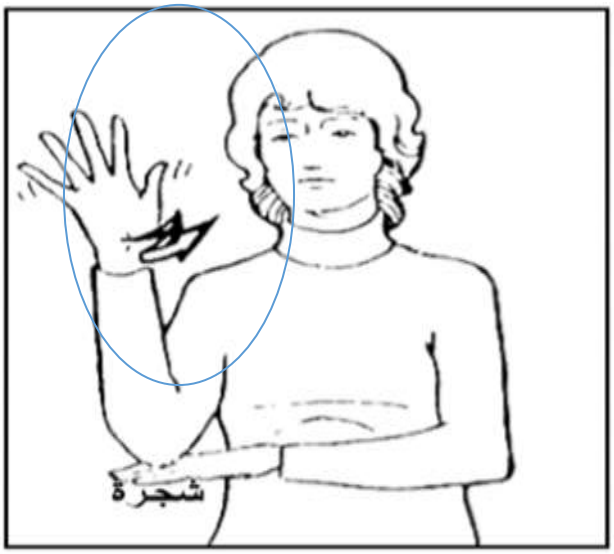

في إشارة "شجرة"، وقع تجسيد شكل الشجرة في الواقع كاملاً باليد اليمنى، فساعد اليد يمثل جذع الشجرة، وكف اليد والأصابع يجسدان تاج الشجرة (الأغصان والفروع...)، في حين أنّ اليد اليسرى فنسميها باليد المحمل التي ترتكز عليها الشجرة (قاعدة).

في هذه الحالة نتحدث عن علاقة ثلاثية: الإشارة (دال)، المعنى (المدلول)، المرجع (وهو تجسيد شكل الدال كاملاً).

الإشارة: شجرة (الدال)، المعنى: شجرة (المدلول)، المرجع: شكل الشجرة في الواقع كاملًا (شكل الشجرة في الواقع).

وكما أشرنا فإنّ تشابه اللغات الإشارية في العالم ناتج عن قيام لغة الإشارات في جزء منها على صفتي الأيقونية الجزئية والأيقونية التامة، وذلك عبر تجسيد شكل الشيء في الواقع سواء بصفة جزئية أو كليّة، لذلك نجد تشابه في بعض الإشارات في اللغات الإشارية، وهو ما يسهل نوعاً ما فهم بعض الإشارات في اللغات الإشارية الأخرى.

ولسائلٍ أن يسأل إذا كانت لغة الإشارات تعتمد اعتمادا كبيرا على تجسيد شكل الشيء في الواقع سواء كان تجسيدًا جزئيا أو كليًّا، فأين يكمن اختلاف اللغات الإشارية بين مجموعات الصم؟

للإجابة عن هذا السؤال، سوف نتحدث عن الأيقونية الثقافية في لغة الإشارات عبر تقديم مجموعة من الأمثلة.

3) الأيقونيّة الثقافيّة:

يكمن اختلاف اللغات الإشارية في الأيقونيّة الثقافيّة، فلغة الإشارات في جانب كبير منها قائمة على الأيقونيّة الثقافيّة، أي أنّ مرجع بعض الإشارات يعود إلى ميزة ثقافيّة تميّز مجموعة الصم في منطقة ما أو عرف أو عادات وتقاليد تمتاز بها تلك المنطقة.

نأخذ على سبيل المثال إشارة ولاية السويق،[1] والتي تتمثل في وضع اليد اليمنى بجانب الفم كما هو مبين في الصورة لتجسيد ظاهرة المناداة التي تشتهر بها ولاية السويق في أسواقها، وهي عملية يتم فيها بيع الأغراض والسلع، أو بيع الأسماك بواسطة عصا طويلة تتدلى منها الأسماك المراد بيعها.

السـويق A'Suwaiq

في هذه الحالة في الأيقونية الثقافية نتحدث عن علاقة ثلاثية: الإشارة وهي إشارة السويق (دال)، المعنى وهو ولاية السويق (المدلول)، المرجع وهو مرجع ثقافي يجسد ظاهرة المناداة التي تشتهر بها ولاية السويق.

نذكر أيضاً إشارات أيام الأسبوع في تونس مقتبسة من ثقافة المجتمع التونسي، حيث يُشار إليها بقرائن أيقونية خاصّة، لا يشاركه فيها الأصم العُماني أو السوداني أو الأردني الذي بدوره له قرائن أيقونيّة خاصّة به. فإشارة يوم الإثنين في لغة الإشارات التونسيّة تقترن بحدث غلق محلات الحلاقة في هذا اليوم كما هو مُتعارف عليه في تونس، ويوم الثلاثاء يرتبط بغلق المخابز واستعداد الأمّهات لعجن الخبز بأيديهنّ، كما يرتبط يوم الخميس بزيارة القبور ومقامات الأولياء الصالحين، في حين يرتبط يوم الجمعة برفع اليد كعلامة للتكبير إشارة للصلاة، ويقترن يوم الأحد بوضع الحقيبة على الظهر للذهاب في نزهة وذلك لاقترانه بيوم العطلة الأسبوعيّة، في حين عند الاطلاع على إشارة أيام الأسبوع في دول أخرى فسنجدها مختلفة إما مقترنة بثقافة وعادات تلك الدولة، أو أنها تتمثل في استعمال الحرف الأول لكل يوم باستعمال أبجدية الأصابع الراجعة بالنظر لتلك الدولة.

[1] ولاية السويق: هي إحدى ولايات محافظة شمال الباطنة، وهي بوابتها الشرقية، يحدها من الشرق ولاية المصنعة ومن الغرب ولاية الخابورة بينما تحدها ولاية الرستاق من جهة الجنوب وبحر عُمان من جهة الشمال. تعتبر ولاية السويق ولاية ساحلية وذات سهل زراعي. (د. ناصر المزيدي)

كذلك الأمر بالنسبة إلى إشارات الولايات التونسيّة، فكل إشارة مقتبسة من ثقافة وعادات تلك الولاية نأخذ مثال إشارة ولاية القيروان والتي تُجسد إشارة العصيدة. فاختيار العصيدة[1] لولاية القيروان لم يكن اعتباطيا وإنما لمرجعية ثقافية وهي الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، وتستقبل مدينة القيروان آلاف الزوار ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من مختلف مدن البلاد التونسية وحتى خارجها على غرار الجزائر وليبيا، ويرجع ذلك إلى القيمة التاريخية لهذه المدينة ومخزونها الثقافي ومعالمها الحضارية.

تتمثلُ أيضاً إشارة البلاد التونسية في تجسيد وضع لمشموم الفل على مستوى الأذن كما هو مبين بالصورة، فالبلاد التونسية تشتهرُ بمشموم الفل والتي تُحْملُ عادة إما في اليد أو مرشوقة فوق إحدى الأذنين. فالمشموم يُعدُ رمزا من رموز تونس تعطِرُ رائحته الزكية الأنهج والأزقّة.

كما أشرنا فإنّ لغة الإشارات في جانب كبير منها قائمة على الأيقونيّة الثقافيّة. فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة مجتمع الصم. لذلك لا يمكننا بأي شكل من الأشكال الحديث عن لغة إشارات عالمية موحدة. فاللغات الإشارية تختلف من دولة إلى أخرى، لا بل حتى داخل نفس الدولة يمكن أن نجد أكثر من لغة إشارية وذلك لارتباط الإشارات بالمرجعية الثقافية وبالمعتقدات والديانات والتوجهات وهو ما أدّى إلى هذا التنوع والاختلاف.

تأثير اختلاف اللغات الإشارية في عملية الترجمة:

1) إشارة الحج:

إنّ اختلاف اللغات الإشارية يؤثر وجوباً في عملية الترجمة الإشارية. فكما أشرنا إلى أنّ من أهم عوامل اختلاف اللغات الإشارية هو اختلاف ثقافة مجموعات الصم ومعتقداتهم، فمن المشاكل التي تعترض المترجم في لغة الإشارات هي وجود إشارات مختلفة لنفس الكلمة حتى في نفس لغة الإشارات. نأخذ على سبيل المثال إشارة كلمة الحج في لغة الإشارات التونسية، فهناك إشارتان، إشارة

[1] العصيدة: هي أكلة تقليدية تونسية، من أشهر الأكلات التي يقوم بتحضيرها التونسيون في عيد المولد النبوي الشريف، وهي عبارة عن مزج الدقيق بالماء وطهيها ثم يُضاف إليها زيت الزيتون. بالإضافة إلى أنواع أخرى من العصيدة على غرار عصيدة الزقوقو والبوفريوة... والتي تعتبر جزءًا من الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف.

يستعملها الصم للدلالة على حج المسلمين وهي نفس الإشارة في لغة الإشارات العربية الموحدة، وإشارة يستعملونها دلالة لحج اليهود، والتي بدورها تختلف عن إشارة حج اليهود في لغة الإشارات الأردنية المرتبطة بحائط البراق.

فحج المسلمين يكون في مكّة في حين أنّ الحج عند اليهود يكون في القدس أو في معبد الغريبة بجزيرة جربة التونسيّة. فإشارة الحج في الإسلام مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافتنا الإسلاميّة وذلك بتجسيد شعيرة الطواف ورمي الجمرات، على عكس إشارة الحج لدى اليهود، فكما أشرنا سابقا وقع تجسيد هذه الإشارة من خلال مرجع واقعي وهو إشارة صلاة اليهود، مع إشارة يهود، "مع إشارة جزيرة جربة"، فإضافة إشارة جزيرة جربة لم يكن اعتباطياً لأنّ حج اليهود يكون هناك، في حين إشارة الحج عند اليهود في لغة الإشارات الأردنية تختلف عن الإشارة نفسها في لغة الإشارات التونسيّة، فقد وقع استبدال إشارة جزيرة جربة بحائط البراق نظراً لكون الأردن على الحدود مع الدولة الفلسطينية. وهذا الاختلاف مبني على اختيار إشارات قريبة لمجموعات الصم. فاعتماد إشارة جربة يسهل استيعابها من قبل الصم في تونس، أما في حين إشارة حائط البراق فيسهل استيعابها من قبل الصم في فلسطين والأردن.

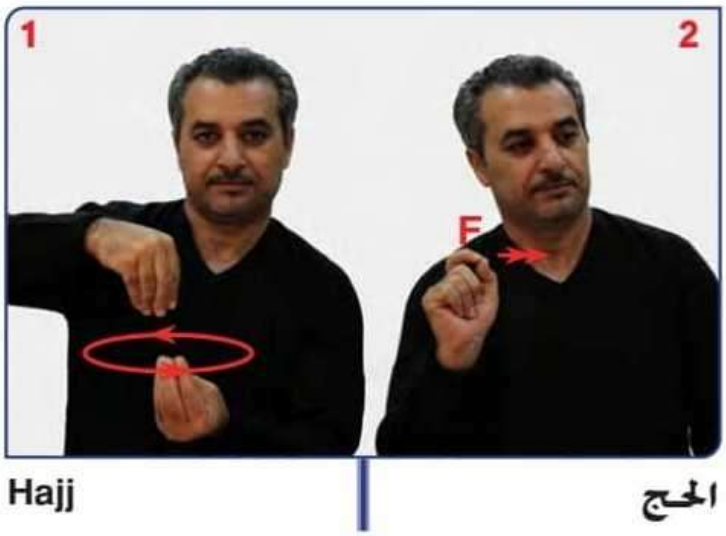

إشارة الحج في القاموس الإشاري الإسلامي

إشارة جربة	إشارة يهود	إشارة صلاة

3-إشارة يهود في لغة الإشارات الأردنية

إشارة صلاة أو دعاء

إشارة حائط البراق

2) إشارة سيدنا عيسى عليه السلام:

بالنسبة لإشارة سيدنا عيسى، فهنالك اختلاف كبير في تجسيدها، وهذا الاختلاف يكمن في اختلاف المعتقدات المتعلقة بقصة سيدنا عيسى، فعند الصم المسلمين تتمثل الإشارة في رسم حرف العين باليد اليمنى ثمّ تليها رفع نفس اليد مفتوحة إلى فوق دلالة على رفعه، كما هو مبيّن في الصورة:

إشارة سيدنا عيسى في لغة الإشارات العربية

في حين عند الصم المسيحيين، تجسِّد إشارة سيدنا عيسى عملية الصلب، كما هو مبين في الصورة:

إشارة سيدنا عيسى في لغة الإشارات الفرنسية

ويعود هذا الاختلاف في الإشارة بين الصم المسلمين والصم المسيحيين للاختلاف في المعتقدات والتصورات، فبالنسبة للمسلمين يؤمنون بأنّ عيسى بشر ككل الأنبياء وأنّه لم يُصلب، وإنما رفع الله جسده إلى السماء، وهو ما تحدث عنه الأستاذ الدكتور علي محمد الصلابي في كتابه "المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة" قائلاً: بأنّ آيات سورة النساء تحدثت عن سوء موقف اليهود من عيسى عليه السلام، حيث افتروا على أمه مريم وأرادوا قتل عيسى عليه السلام وصرحت الآيات بأنّ الله عصمه منهم وأنهم ما قتلوه ولا صلبوه وإنما شبه لهم ولقد رفعه الله إليه (الصلابي، 2019).

في حين يرى المسيحيون أنّ سيدنا عيسى وقع صلبُه.

إنّ هذا الاختلاف في المعتقدات والأديان سيؤثر وجوباً في عملية الترجمة، وفي هذه الحالة يجب على المترجم أن يراعي هذه الاختلافات وأن يعمل على احترامها في تأديته لعملية الترجمة وإيصال الرسالة كما هي للمتلقي. كما أنَ اختلاف ثقافات مجموعات الصم وعاداتهم يضعنا أمام تحدّ جديد وهو وجود إشارات لأشياء خاصّة بمجتمع ما لا توجد في مجتمع آخر، أشياء تميّز مجموعات الصم في مكان ما كالأزياء التقليدية أو الأكلات الشعبيّة أو إشارات بعض الولايات.

لذلك يجب على المترجم في هذه الحالة أن يكون مطلِعاً على ثقافة مجتمع الصم والبحث في المرجعية الثقافية للإشارات القائمة على مرجعية ثقافية والتي من شأنها أن تسهل معرفة ثقافة مجتمع الصم وبالتالي تسهل الترجمة.

وقد أشار محمد أبو شعيرة لدور المترجم والمتمثل في تسهيل عملية التواصل بين شخصين يمتلكان لغتين مختلفتين، وذلك بالاعتماد على معرفته باللغتين والثقافتين. ومع أن مترجم لغة الإشارات يبدو ماهرًا في استخدام يديه إلا أن المهارة المهمة الأخرى التي يحتاجها هي القدرة على الاستماع

(ترجمة من لغة منطوقة إلى إشارة) أو الرؤية (ترجمة من لغة الإشارات إلى اللغة المنطوقة) بتركيز عالٍ حتى يتمكن من نقل الرسالة بشكل صحيح. (أبو شعيرة م.، 2016).

فالترجمة الإشارية يحتاج فيها المترجم إلى مجموعة من المهارات وهي القدرة على الاستماع في حالة الترجمة من لغة منطوقة إلى إشارة، والرؤية في الترجمة من لغة إشارات إلى لغة منطوقة، وذلك؛ نظرا لقيام لغة الإشارات على القناة البصرية. كما يجب على المترجم أن يكون مطلعاً وعلى معرفة باللغتين والثقافتين ومراعاة الاختلافات.

اختلاف تركيبة الجملة الإشارية عن اللغات المنطوقة وتأثيرها في الترجمة:

إنّ لغة الإشارات تتميز بقواعد ونظام خاص بها وذلك باعتبارها لغة بصرية بالأساس. تعتمد على الفضاء؛ لرسم مشهد متكامل، فتركيبة الجملة الإشاريّة تختلف عن نظيراتها في اللغات المنطوقة، فالجملة الإشارية تتركب من:

إطار زماني، إطار مكاني، فاعل ثم الفعل للدلالة على وقوع حدث ما.

عند ترجمة هذه الجملة لا نقوم بترجمتها بناءً على تركيبتها في اللغة العربية المنطوقة بل نقوم بداية بتحديد الإطار الزماني، ثمّ رسم وتجسيد الإطار المكاني. بعد ذلك نقوم بتحديد الشخصيات وتوزيعها في الإطار المكاني من ثم يأتي الحدث (الفعل). في هذه الحالة سيشاهد الأصم مشهدا متكاملاً حُدِد فيه الزمان والمكان والشخصيات من ثم الحدث، فتحديد الإطار المكاني وذكر الشخصيات في لغة الإشارات عند بداية الكلام يسهل فهم موضوع الكلام ويضمن نفاذ الأصم للمعلومة، وهذا بعكس أن تبدأ الجملة الإشارية بفعل في هذه الحالة لن يستطيع الأصم فهم محتوى الجملة وسيحتار في هل الكلام عنه أم لغيره وإذا كان لغيره فمن يكون؟ فذكر الفاعل والشخصيات يعتبر أمرا في غاية الأهميّة. وهذا الاختلاف في تركيبة الجملة الإشارية سيجعل الترجمة الإشارية مختلفة عن نظيرتها في اللغات المنطوقة.

فالترجمة في لغة الإشارات سواء من لغة الإشارات إلى اللغة المنطوقة أو العكس تختلف عن الترجمة بين اللغات المنطوقة كالترجمة من العربية إلى اللغة الإنجليزية. فالترجمة الإشارية تعتمد على حاسة البصر عوضا عن حاسة السمع في صورة ترجمة ما يقوله الأصم، والإشارة عوضا عن الكلام عند إيصال رسالة ما للأصم.

نتائج الدراسة:

مما سبق توصلنا إلى أنّ:

- لغة الإشارات مختلفة باختلاف مجموعات الصم؛ وذلك لارتباط الإشارات بالمرجعية الثقافية وبالمعتقدات والديانات والتوجهات وهو ما أدّى إلى هذا التنوع والاختلاف.
- لغة الإشارات هي لغة بصرية بالأساس، تعتمد بالأساس على القناة البصرية، وهي لغة تتخذ من الفضاء مسرحاً؛ لرسم وتجسيد مشهد متكامل، وكل هذه الخصائص جعلت من تركيبة الجملة الإشارية مختلفة عن تركيبة الجملة في اللغات المنطوقة.
- هذا الاختلاف في المعتقدات والأديان والثقافات بالإضافة إلى اختلاف خصائص اللغات الإشارية يؤثر وجوباً على عملية الترجمة.

توصيات الدراسة:

نتيجة لما سبق نوصي بضرورة ما يلي:

- تمكن المترجم من مجموعة من المهارات لعلَ أهمها القدرة على الاستماع في حالة الترجمة من لغة منطوقة إلى إشارة، والرؤية في الترجمة من لغة إشارات إلى لغة منطوقة.
- اطلاع المترجم ومعرفته باللغتين والثقافتين ومراعاة الاختلافات.
- اطلاع المترجم على ثقافة مجتمع الصم والبحث في المرجعية الثقافية للإشارات القائمة على مرجعية ثقافية والتي من شأنها أن تسهّل معرفة ثقافة مجتمع الصم وبالتالي تسهل الترجمة.
- مراعاة المترجم هذه الاختلافات وأن يعمل على احترامها في تأديته عملية الترجمة وإيصال الرسالة كما هي للمتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا. المراجع العربية:

- عيسى، أحمد نبوي (2019): تقييم مهارات أداء لغة الإشارة لدى معلمي الصم بمعاهد الأمل في المملكة العربية السعودية ،الرياض: جامعة جدة.
- رومانوس، أنطوان (1992): المنهجيات المستعملة في تعليم الصم لغات الإشارة، بيروت: جامعة سان جوزيف.

- جميل، سامي سعيد (2002): لغة الإشارة وتواصل مع الحياة، الإسكندرية: جمعية أصداء لرعاية المعاقين سمعياً.

- محمد، سماح صالح محمد (2020): جودة أداء مترجم لغة الإشارة من منظور طلاب الجامعة الصم وضعاف السمع وعلاقتها بالأداء الأكاديمي لديهم، القاهرة: جامعة الزقازيق.

- العصيلي، عبد العزيز (2002): علم اللغة النفسي ،الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- الجوالدة، فؤاد وآخرون (2021): تجارب تفسير القرآن بلغة الإشارة في العالم العربي "دراسة نقدية لمنهجية إعداد المحتوى التفسيري" ،مركز تفسير للدراسات القرآنية.

- وهبة، مجدي (1974): معجم مصطلحات الأدب، بيروت: مكتبة لبنان.

- أبو شعيرة، محمد (2016): دراسة تشخيصية لأخطاء الترجمة بلغة الإشارة ومصادرها من وجهة نظر المترجمين في ضوء بعض المتغيرات ،عمَّان: جامعة الأزهر، كلية التربية.

- أبو شعيرة، محمد إسماعيل و حداد، إبراهيم محمد (2021): مقدمة في علوم لغة الإشارة، عمَّان: Amazon.

- الصلابي، محمد (2019): المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، عمَّان: مركز الكتاب الأكاديمي.

- شاهين، محمد (1998): نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنكليزية وبالعكس، عمّان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

- التركي، يوسف (2017): الصعوبات التي تواجه مترجمي لغة الإشارة للصم من وجهة نظرهم، القاهرة: مجلة كلية التربية جامعة الأزهر.

ثانيًا. المراجع الأجنبية:

Al-Fityani, K. (2007): **Arab Sign Languages: A lexical Comparison**. San Diego: Center for Research in Language, University of California.